مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٣/٢٠١٢ هـ.ق، العدد ١٩ (٢) ١-١٦

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

الصّابئَة المندائيّون في التّاريخ؛ من فلسطين إلى إيران

بهادر قيم[١]

تاريخ الوصول: ١٤٣١/١٢/٢٢ تاريخ القبول: ١٤٣٢/١١/١٠

يعدُّ موروث الصّابئَة المندائيّين بخلفيّتهم التّاريخيَّة الممتدَّة، ضمنَ الجماعات الدينية المعروفة في الثّقافة والحضارة الإسلاميَّتين، وقد جعلهم القرآن في مصافّ أهل الكتاب. تُظهِر الأحداث التّاريخيَّة المتّصلة بحياتهم الدّينيَّة والإجتماعيَّة في فلسطين والواردة في تقاليدهم الشّفهيَّة ونصوصهم المقدَّسة، أنّ فلسطين كانت منطلقهم الأوَّل.

إنّ هجرة الصّابئَة إلى بلاد مابين النهَّرين عقبت عوامل خارجيَّة، بما فيها غزو القوى الخارجيَّة، وعوامل داخليَّة والصّراع مع اليهود. ومن ناحية أخرى فقد لعب التّسامح الدّينيّ من قبل الحكومات الأخمينيَّة والأرشاقيَّة دوراً إيجابيّاً في مواصلة حياتهم الدّينيَّة بعد ما أقاموا في بلاد ما بين النّهرين الّتي كانت تابعة للإمبراطوريّات القديمة بدءاً بالأخمينية وانتهاءً بالسّاسانيَّة، إذ يسّر ذلك لمناخ التسامح نزوحَ الصّابئَة إلى الأقاليم الواقعة جنوبيّ غرب إيران (خوزستان). وقد أمضي الصّابئة حياة دينيَّة واجتماعيَّة مليئَة بالتّقلّبات والشّدائد منذ اجتيازهم الحدود الجغرافيَّة الإيرانيَّة مستوطنينَ خوزستان إلى يومنا هذا (٢٠١٠م.). أمّا في السنّوات الأخيرة بعد اعتبار هذه الفئَة الدّينيَّة ضمنَ أهل الكتاب من قبل سماحةآية ا.. الخامنئيّ (مدّ ظلّه)، فقدُ فتح فصل جديد للتّواجد التّاريخيّ الصّابئيّ في إيران ولممارسة حياة دينيَّة واجتماعية على ساحة وادعة. إنّ هذه الدّراسة الإستكشافيَّة الماثلة بين أيديكم بتوجُّه تاريخيّ بحت وبحث تصحيحيّ للمصادر التّاريخيَّة تسعي إلى تقديم صورة واضحة عن الصّابئّة وتعريف جديد للمندائيّين يميّزهم عن عَبَدَة الشّمس.

الكلمات الرئيسة: أهل الكتاب، الصّابئَة المندائيّون، النّبيُّ يحيي (ع)، فلسطين، بلاد مابين النّهرين، خوزستان.

١. عضو هيئة التدريس بجامعة شهيد جمران (الأهواز). Ghayem.b@scu.acir

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

"الصَّابئَة" لغةً ودلالةً

إنَّ فهم مفردة فهماً دقيقاً وتطبيق شحنتها الدَّلاليَّة على ظاهرة ومدلول تاريخيَّين يمكِّنان الباحث في تحليله لمغزى موضوعٍ ما من السَّير قريباً من الحقيقة. فبعد التَّمعُّن في المصادر القديمة والحديثة، يمكننا أن نذعن بعدم اتِّفاق الدَّلالتين اللُّغويَّة والإصطلاحيَّة لكلمة «الصَّابئَة» في اللُّغتين العربيَّة والآراميَّة :

الف- جاءَ في اللُّغة العربيَّة «صَبَأَ»، «يَصبَأُ»، «صَبأُ» و«صُبُوءًا» أي «خَرَجَ مِن دينٍ إلى آخر». (انظر: سعيد الشرتوني، ۱۴۰۳ق، ۶۲۸، خليل جُرّ، ۱۳۸۶ ش؛۲ /۱۳۰۵ فريد وجدي، ۱۹۷۱م ؛ ۴۲۶/۵) أما النطّاق الدَّلاليُّ فواسع إذ يشمل كلا الجانبين السَّلبيَّ: الميل من التَّوحيد إلى الشَّرك. والإيجابيَّ: الميل من الشَّرك إلى التَّوحيد: فقد أورد لفيف من كتَّاب الملل والنِّحل هذا المعنى العامَّ أي «الخروج من ديانةٍ إلى أُخرى». (انظر: العلويّ ۱۳۷۶، ص۳۶، ابن الجوزيّ، ۱۴۲۶ق، ص ۶۸) وبإمكاننا أن نقدِّم مصاديق تاريخيَّة كثيرة لكلا الجانبين السَّلبيِّ والإيجابيِّ مستخلَصَةً من النُّصوص التَّاريخيَّه، فعلي سبيل المثال هناك نموذجان للجانب السَّلبيِّ من دلالتَي «الصَّابئَة»، الأوَّل: هو انحراف أبناء قابيل عن التَّوحيد إلى الشرك بواسطة نحتهم الأصنام على هيئة إنسان وعبادتهم إيَّاها إذ أصبح ذلك مبدأً للوثنيَّة.

والثَّاني: تبعاً للأوَّل ظهور أوثان (ودّ، سواع، يغوث، يعوق، نسر) وتأليهها في المجتمع الجاهليِّ، ويقال إنَّها كانت على هيئة أُناس صالحين قد عاشوا في عصور سابقة.

فهذان نموذجان للدَّلالة على الإنحراف والميلان عن التَّوحيد نحو الشِّرك. إذ بعث الله سبحانه في العصور اللاَّحقة النَّبيَّ إدريس (ع) لهداية النَّاس ودعوهم نحو التَّوحيد. (الكلبيّ، ۱۳۸۵، ۱۴۸-۱۴۶) وأمَّا الجانب الأيجابيُّ للصابئيَّة فمن الممكن أن نعدَّه مرادفاً «الحنيفيّة» و«التَّحنُّف» فقدجاءَ في اللغة العربية أنَّ «حَنَفَ» يعني «انحرفَ» و«مالَ»، «ميلاناً من الوثنيَّه إلى التوحيد». (انظر: خليل جرّ ۸۶۷/۱، محمَّد على مختار، ۱۴۰۴ق؛ ۱۶۴)

كان أبو قيس صرمة بن ابي أنس من بني النَّجَّار وخالد بن سنان من بني عبس، ويعدَّان ممَّن تحنَّفوا أي مالوا قبل بعثة نبيِّ الإسلام (ص) من الوثنيَّة إلى دين إبراهيم (ع). (العلويّ، ۱۳۸۵ش،۲۷) لعلَّ هذا الأمر هو الَّذي حثَّ البعض إلى أن يَعتبروا بالخطأ الصَّابئَةَ فئةً من المشركين قد مالت من الشَّرك إلى التَّوحيد بعد تحوُّل في عقيدتها وذلك قبل ظهور الإسلام ومبادئِه الأَصيلة (انظر: الكلبي، ۱۳۸۵ش، المقدمة؛ ص۷) وهذه الفئَةُ في الأصل: "الحنفا" وليس "الصابئَة". هي الشَّهرستانيِّ باختياره للجانب السَّلبيِّ لدلالة "الصَّابئَة": «أن الصَّبوة في مقابلة الحنيفيَّة»، أي تعارضها. ثمَّ يضيف «وفي اللُّغة صَبَأَ الرَّجلُ إذا مالَ وزاغَ ؛ فبحكم ميل هؤُلاءِ عن سَنَنِ الحقِّ وزيغهم عن نهج الأنبياءِ قيل لهم الصَّابئَة». (الشّهرستانيّ، ۱۴۲۲ق؛ ۲۰۹) كما قام فريق من الكتَّاب المسلمين بالبحث عن سبب تسميتهم بالصَّابئَة باستدلالات دلاليَّة أخُرى تبدو أقلَّ أهميَّة. فذهب الحميريُّ إلى أنَّ كلمة الصَّابئَة مأخوذة من شخصيَّةٍ أسطوريَّةٍ تُدعي «صاب بن طاط بن خنوخ» وقدكان عالماً في الحكمة والفلسفة والنجَّوم. وكان أوَّل من قام بتشييد هيكلٍ في بابلَ أصبح كاهناً له ويدعي "بكومن" أي العالم الكبير فلهذا عُرف أبناؤهُ بالصَّابئَة. (الحميريّ، ۱۹۸۴م؛ ۱۹۱) قد اعتقد البعض أنَّ كلمة الصَّابئَه مأخوذة من لفظة الصَّبيِّ الَّتي وردت في القرآن حيث قال سبحانه: وآتيناه الحكم صبيّاً) (سورة مريم، الآية: ۱۲) وقد نزلت في النَّبيِّ يحيي (ع) الَّذي تعَدُّ الصَّابئَة من أتباعه. (انظر: الحسينيّ

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

الشيرازي، ١٣٨٤، ٤٣)

ب – كلمة «الصَّابئَة» في اللُّغة الآراميَّة[1]: تقسَّمت اللُّغة الآراميَّة في القرنين الثَّالث والثَّاني قبل الميلاد إلى عدَّة فروع منها: المندائية والعبريَّة والباليريَّة (التَّدمريَّة) والسُّريانيَّة والنَّبطيَّة والعربيَّة (انظر: آلبرتين، ١٣٨١ش؛ ١١٥، جان جورج، ١٣٨٢، ٤٨) اشتُقَّت لفظة الصَّابئَة في اللُّغة المندائيَّة من المادَّة «صبا» أي «التَّعميد» و"الإرتماس في الماء" (Kurt Rudolph, 2011,P.1)، ولهذا يطلق الصَّابئَة على طقوس التَّعميد في الماء لفظة «مصبّتا». (السباهي، ١٩٩٦م، ٣٢) في حين أنَّ الكتَّاب المسلمين في تعريفهم لأحوال الصَّابئَة يؤَكدّون على الدَّلالة العربيَّة دون النَّظر إلى الدَّلالة الآراميَّة.

الصَّابئَة وعبادة النُّجوم

إنَّ رواة التاريخ قد اعتقدوا أنَّ الفصائل البشريَّة جميعها تنتمي مع كلّ تشعُّباتها اللّغويّة وتبايناتها الدِّينيَّة إلى سبع أُمم قديمة هم: الإيرانيُّون والكلدانيُّون واليونانيُّون والأقباط والأتراك والهنود والصِّينيُّون وكان أصل هذه الأُمم جميعها ينحدر من الصَّابئَة الذين كانوا يعبدون الأَصنام بوصفها مظهراً لأَشخاصٍ فلكيَّةٍ. (ابن العبريّ، ١٣٧٧ش، ١) كما أشار المسعوديُّ إلى مجموعاتٍ شتَّي من الصَّابئَة نحو: صابئة الكلدانيِّين والصَّابئَة الصِّينيِّين ويُدعَون سُمنيه والصَّابئَة اليونانيِّين والصَّابئَة المصريِّين وصَّابئة حرَّان، وكلّها تعبد الأَجرام السَّماويَّة. (المسعوديّ، ١٤٢١ق، ١٥٤-١٥٣) وابن العبريّ في الفصل المتعلّق باحتلال الإفرنج (الروم الغربيِّين) لبلاد اليونان يذكر: «أنّ روما كانت عاصمة جميع الرُّوم إلى أن اعتنق قنسطانطينوس ابن هيلانة الدِّيانة المسيحيَّة تاركاً ديانة الصَّابئَة (عبادة النُّجوم) ثم بنى مدينة بيزنطة.» (ابن العبريّ، ١٣٧٧ش، ٨٥)

فبعد التَّدقيق في هذه الرِّوايات التَّاريخيَّة يمكننا أنَّ نستنتج أنَّ عبادة النُّجوم والكواكب كانت جذريّةً في عصور ما قبل التَّاريخ ونقطة بداية الإنحراف الدِّينيَ بين قوم وقومٍ أخر وبين أُمةٍ وأُمةٍ أُخرى تبدو متضاربة متفاوتة. أنَّ إطلاق كلمة «الصَّابئَة» على هذه الأَقوام والأُمم بشكل عامٍّ يتلاءَم مع المفهوم السَّلبيِّ للكلمة في اللُّغة العربيَّة أي «الميلان عن التَّوحيد إلى الشِّرك» وهذا الإشتراك في الدَّلالة قد أدَّى ببعض المؤَلّفين نحو الإعتقاد بأَنَّ محتد الأُمم هو فئة الصَّابئَة، في حين أنَّ قاسمها المشترك الوحيد يكمن في «تقديسها للنَّجوم وعبادتها لها خاصَّةً منها الّشمس والقمر» وذلك تمخُّضاً عن الدَّور المؤَثِّر الذَّي تؤَدِّية النُّجوم والكواكب في حياة البشر. (في ما يتعلّق بتأثير النُّجوم والكواكب في حياة الإنسان وميلانه نحو عبادتها (انظر: المسعوديّ، ١٣٧٨، ١/٥٨٧).

نذكر لذلك أمثلة: أوَّلها: اعتقاد الهنود بأَنَّ سبعة كواكب سيَّارة تدبِّر شؤُون حياتهم. (اليعقوبيّ، ١٣٧٤، ١١٠) وثانيها: ميلان المصريِّين القدامى من التَّوحيد إلى الشِّرك بعبادتهم «رع» الشَّمس وهو كبير آلهتهم. (انظر: جيمس هاكس، ١٣٤٩ش، ص٥١٤) وثالثها: عبادة العرب آلهةً سماويِّين منهم الشَّمس الَّتي كانت تحظي عندهم بمنزلة كبيرة وهذا بجانب عبادتهم آلهة أَرضيِّين وجنّاً. (يحيي الشَّامي، ١٩٩٣م، ١٠٢) أشار ابن خرداذبه إلى قلعة في اليمن كُتب عليها بالخطّ الحميريّ «هذا ما بناه شمريهرعش بعون سيِّده الشَّمس». (ابن خرداذبه، ١٨٨٩م، ١٤٥) ومن الضَّروريَّ أَن نتذكَّر هنا أَن عبادة الشَّمس كانت مختصَّة بقبائل حمير اليمنيَّة وقد جاء في تاريخ الأَساطير أَنَّ سبأ بن يشجب بن يعرب كان يُدعى «عبد الشَّمس». (المسعوديّ، ١/٤٣٧) فكانت كنانة تعبد القَمَر، وميسُم الدَّبَرانَ ولَخمُ وجُذامُ المشتريَ وطيِّءُ سهيلاً وقيسُ الشَّعريَ

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

وأسدُ عُطاردَ. (ابن العبريّ، ١٣٧٧ش، ١٢٦) وعلى أساس هذه المصادر القديمة نري أنّ كُتّابَ العرب المعاصرين يعدُّون مَن تعبَّد الأجرام السَّماويَّة في العصر الجاهليّ صابئَةً. (أبوخليل، ١٤٢٥ق، ٢٦، الشّاميّ ١٩٩٣م،٢٢).

الصَّابئَة من فلسطين إلى بلاد ما بين النَّهرين

يتعذّر من خلال مدوّنات المندائيّين المقدَّسة وتقاليدهم الشَّفهيَّة استخلاصُ صورة جليَّة موحَّدة لمنطلقهم الأوَّل. فبناءً على ما سبق، تقدّمت كلٌّ من الهند ومصر وفلسطين بوصفها مناطق ظهورهم الأُولى. ويعتقد الصَّابئَة أن آدم (ع) قد هبط في الهند قبل ٤٤٥٣٧٩ عاماً وهو أوَّل من تعمَّد بيد «ملكا هيبل زيوا» (الملاَك جبرئيل). فلهذا يعتبرون الهند أقدم منطلق لهم. (شهرية بيت مندا، شهر دي سنة ١٣٨٥، هـــ. ش ٥، «تقويم صابئين مندائي خوزستان، ٨٩- ١٣٨٨الإيراني. ٣١-١٤٣٠ ق، ٢٠١٣- ٢٠١٢ يحيايي، ٤٤٥٣٧٩ ميلاد حضرت آدم (ع)) كما أنّ الرّوايات الشَّفهيَّة تشير إلى تواجد المندائيين في مصر القديمة. (عربستانيّ ،لاتا، ١٩) ولا تحظى هذه الموروثات التّاريخيَّة المندائيَّة بخلفيَّة داعمة وطيدة موثوق بها في حقل التّدوين للتّاريخ الإسلاميّ. بل تمّت فقط الإشارة باختصار إلى هبوط آدم (ع) في الهند وهي إشارات ضعيفة عابرة. (الطّبريّ، ١٤٢٢ق، ١/٧٩/اليعقوبيّ، ١٣٧٤، ١/٤، المسعوديّ، ١/٢٥) يذكر المسعوديّ في رواية أُخرى أنّه: «لمّا ولدت أشباع ابنة عمران وهي أُخت مريم أمّ المسيح، يحيي بن زكريّا عليهما السّلام، هربت به من بعض الملوك إلى مصر، فلمّا صار رجلاً بعثه الله عزّوجلّ إلى بني إسرائيل». (المسعوديّ، ١/ ٥٥) وهذه الرّواية إن قبلناها فهي أيضاً تتعلّق إلى ماقبل بعثة النّبيّ يحيي (ع).

هناك إشارات صريحة لبعض الكتب المقدَّسة عند الصَّابئَة المندائيِّين إلى أورشليم وتاريخها تدعونا جميعها إلى أن نذعن بأنّ فلسطين محطّتهم الأصليَّة، منها أن أورشليم شُيِّدت بعد طوفان نوح (ع)، وأنّها مبعث ثلاثمئة وستّين نبيّاً، وأن زكريّا وزوجته حظيا فيها بمنزلة رفيعة، وأنّ يحيى (ع) آخر أنبياء الصَّابئَة قد ولد فيها، وأنّ أكبر الصَّدامات بينه وبين اليهود قد وقعت فيها، وأخيراً أنّه التقى فيها بعيسي المسيح (ع) على ضفّة نهرالأُردنّ حيث قام بتعميده. (شهرية بيت مندا، دي ١٣٨٥، ٨) بناءً على هذا يمكننا أن نقرَّ أنّ ما قاله هيكيسبوس Hegesippus (المتوفىَّ ١٨٩م) عن وجود طائفة في منطقة البحر الميّت الفلسطينيَّة كانوا يقومون في مياهه بالتّعميد تدعي «مصبتين» (السباهيّ ١٩٩٦م، ٣٣) أقرب إلى الواقع من الرّأي الضّعيف للكاتب الحديث جوليوس ليوي Julius lewy الّذي اعتقد أنّ الصَّابئَة قد استقرُّوا بداية في واحة التّيماء شماليّ الحجاز. (م. ن، ٣٢) لأنّه اعتمد على ماجاءَ في العهد العتيق فذهب إلى أنّ كلمة الصَّابئَة مشتقّة من كلمة «شبا» وهم من ذرّيّة النّبيّ إبراهيم (ع) لزوجتة قطورة (انظر: العهد العتيق والجديد،١٣٨٠، تكوين ٣-١) فرفضاً لهذا الرّأي يكفينا أن نعلم أنّ العرب يطلقون لفظة «التّيماء» على أرض قفرة تخلو من المياه، (انظر: ياقوت الحمويّ، لاتا؛ ٢/٤٧١ (وأنّ أرضاً كهذه خالية من المياه، خاصَّة الجارية منها الّتي يعتبرها المندائيُّون أهمَّ وسيلة للتّعميد، لا يمكن أن تكون مستقرَّ لهم. علاوة على هذا فقد ورد في النُّصوص التّفسيريَّة للعهد العتيق أنّ مفردة «شبا» العبرانيَّة هي نفس «سبأ» اليمنيَّة وطن الملكة الشَّهيرة بلقيس (انظر:حيمس هاكس، ١٣٤٩ ش، ٥١٤).

إنّ نزوح الصَّابئَة المندائيّين من فلسطين نحو بلاد مابين النهَّرين قد حدث في ظروف قسريَّة قد أثارتها مجموعة من

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

العوامل الدّاخليّة والخارجيّة. من العوامل الخارجيّة يمكننا أن ننوّه هنا إلى هجمات القوى الأجنبيّة على أورشليم، وأُولاها هجمة بختّنصر (نَبوخَذ نصّر) وإجلاؤهُ أهل فلسطين إلى بلاد مابين النّهرين في القرن السّادس قبل الميلاد. (اليعقوبي، ٧٨/١، الطّبريّ، ٣٢٣/١، ابن العبريّ ١٣٧٧ش، ٥٦) وممّن سباهم من بيت المقدس إلى بابل مجموعة من الصّابِئَة المندائيّين. (البيرونيّ، (لاتا) ٣١٨) وأمّا الهجمة الخارجيّة الأخرى على أوُرشليم فقد قامت تيتوس (تيطُس) وبأمر من والده قيصر الرّوم سپاسيانوس (فسبسيانُس) عام ٧٠ للميلاد. (ابن العبريّ، ١٣٧٧ش، ٩١، ENCYCLOPAEDIA looklex, 2011, P.2) هناک هجمات رومية أخرى على أُرشليم حدثت عام ١٣٢ الميلاديّ بأمرٍ من هادريانوس (١٣٨ – ١١٧ م) عقبها تخريبٌ كاملٌ للمدينة وتقتيلٌ شنيعٌ لأهلها وتشريُد عديدٍ منهم. (ابن العبريّ، ١٣٧٧ش، ٩٤) وأما العوامل الدّاخلية لهجرة الصّابئة المندائيّين يعود إلى مطاردتهم وإيذائِهم بصفتهم أتباعاً «يوحنّا المعمدان» أي النّبيّ يحيى (ع). وعلينا أن نقرّ أن العنصر اليهوديّ حسب روايات النُّصوص المقدّسة للمندائيّين لعب دوراً مهمّاً في مطاردة أتباع النّبيّ يحيى (ع) أي الصّابِئَة بعد مقتله وإن لم تقدّم المصادر التّاريخيّة لا المتقدّمة منها ولا المتأخّرة صورة للأحداث المتعلّقة بالنّبي يحيي (ع). (عن روايات النُّصوص المقدّسة للمندائيّين انظر: العربستانيّ، ١٣٨٣ ش، ٢١) وأماالمصادر التّاريخيّة فتؤكّد مقتله (ع) على يد بني إسرائيل. (الدّينوريّ، ١٣٦٤؛ ٦٧، المسعوديّ، ٥٥/١) ويصّرحُ ابن العبريّ أنّ يحي قاتل النبي (ع) هي الملكة هيروديا. (ابن العبريّ، ١٣٧٧ ش، ١١١) وأمّا المصادر المعاصرة فتؤكّد على أنّ قاتله (ع) هو هردوس أنتيباس ملك الجليل من أعمال فلسطين وقد كانت الملكة هيروديا زوجته غير الشّرعيّة. (ناس، ١٣٨١ش، ٨٩-٨٦) إنّ التّواطؤَ بين حكّام بيت المقدس واليهود في استئصال أتباع النّبيّين يحيى (ع) وعيسى (ع) (في شأن عيسى (ع) وعروجه انظر: ابن العبريّ، ١٣٧٧ ش، ص٨٩ – ٨٦) أدّى إلى تفرّقِهم في بلدان العالم ومنه نزوحهم نحو بلاد مابين النّهرين. يقول جان ناس: «بقي الكثير من أتباع يحيى (ع) الأوفياء الّذين واصلوا تعاليمه وساروا على دربه إذ لقي الحواري بولس بعد ثلاثين عاماً اجتماعاً لأصحابه في مدينة أفسُس[٢]» (ناس، ١٣٨١ ش، ٥٨٥)

الصّابِئَة المندائيُّون في النُّصوص الإسلاميَّة

إنّ أوّل وأكمل وأوثق وثيقةٍ إسلاميَّة ذُكِرَ فيها اسم الصّابِئَة هو الكتاب السّماويّ للمسلمين أي: القرآن الكريم .حيث ورد فيه ذكر الصّابِئَة في ثلاث سور[٣]. وبناءً على ما جاء فيها أُعتُبِرَت هذه الطّائفةُ من أهل الكتاب. أنّ أوّل ذكر لها ولمستقرّ أتباعها الجغرافيّ في الحقل التّدوينيّ للتّاريخ الإسلاميّ جاء في نصوص تعود إلى القرن الثالث الهجريّ. ويمكننا بعد التّدقيق في روايات النُّصوص التّاريخيّة لهذه الحقبة أن نستكشف أُفقاً جليّاً عن حقيقة الصّابِئَة التّاريخيّة تُميّزُ المندائيّين التّعميديّين عن الحرّانيّين عبدة النُّجوم.

ألف: الصابئة الحرانيون

كانت هذه الفئة في الأصل تعبد النجُّوم والكواكب في مدينة حرّان وتعود بنسبتها إلى جذور كلدانيّة عرفت «الحرنانيّة الكلدانيّة» (ابن النّديم، ١٣٤٣ش، ٥٦٥) يقول المسعوديُّ في ذكره لهؤُلاء الحرانيّين «والّذي بقي من هياكلهم المعظّمة في هذا الوقت زمن المسعوديّ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة – بيتٌ لهم بمدينة حرّان[٤] بمعليتيا في باب الرّقّة يعرف به "معليتيا" وهو هيكل آزر أبي إبراهيم الخليل عليه السّلام عندهم.» (المسعوديّ،

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

١/٥٩٩- ٥٩٨) لعلّ هذا الأمر كان الدّاعي إلى أن تذكر حرّان بوصفها أشهر مركز للوثنيَّة السُّريانيَّة. (أحمد أمين، لاتا؛ ١٣٠) وكان للصَّابئَة الحرَّانيِّين أعلام أو بتعبير آخر أَنبياءُ من أَشهرهم: أراني وإغاذيمون وهرمس بالإضافة إلى سولون جدَّ أفلاطون فيلسوف الأُمَّة. (انظر: ابن النَّديم، ١٣٤٣ش، ٥٦٥/ اليعقوبيّ، ١٣٧٤ش، ١/١٨٠/ المسعوديّ، ١٤٢١ق، ١٥٤) وقد كان الحَّرانيُّون قبل تسميتهم بالصَّابئَة يُدعَون «الحنفاء» (اليعقوبيّ، ١٣٧٤ش، ١/١٨٠/البيرونيّ، (لاتا) ٣١٨) و«الوثنيِّين» و«الحرَّانيِّين». (البيرونيّ، ٣١٨) وقد اعتنق بعض من ملوك اليونان والرُّوم ديانة الصَّابئَة (اليعقوبيّ، ١٣٧٤ش، ١/١٨٠) ويذكر البلاذريُّ في معرض كلامه عن فتح مدن الجزيرة (شماليَّ العراق) بيد عياض بن غنم، طائفة من عَبَدةِ النُّجوم والكواكب يدعوهم «الحرنانيَّة»: «فلمّا نزل بها بعث إليه الحرنانيَّة من أهلها يعلمونه أنَّ في أيديهم طائفة من المدينة ويسألونه أن يصير إلى الرُّوها، فما صالحوه عليه من شيء قنعوا به وخلّوا بينه وبين النَّصارى حتَّى يصيروا إليه، وبلغ النَّصارى ذلك فأرسلوا إليه بالرِّضى بما عرض الحرنانيَّة.» (البلاذريّ، ١٤٢١ق، ١٧٥-١٧٤) وبسبب اتِّخاذَ عَبَدَة النجوم طريقة التقية اَمام الفاتحين المسلمين فقد ظنَّ هؤُلاءِ أنَّهم فتَات من النَّصاري، فهذا الظَّنُّ قد شمل الصَّابئَة المندائيِّين لاحقاً. وقد اَظهر عَبَدَة النُّجومِ الحرَّانيُّون أواخر القرن الثاني الهجريّ أي عهد خلافة الأمين العباسي (١٩٨-١٩٣ق). ديانتهم (انظر: آدام متز، ١٣٧٧، ٥٣) ثمَّ تسمَّوا بالصَّابئَة أواخر خلافة المأمون (٢١٨-١٩٨ق). وهذه المعلومة استناداً على مارواه أبو يوسف أيشع القطيعيُّ النَّصراني، ونقل عنه في كتاب الفهرست: «أنَّ المأمون اجتاز في آخر أيَّامه بديار مُضَر يريد بلاد الرُّوم للغزو، فتلقَّاه النَّاس يدعون له، وفيهم جماعة من الحرنانيِّين، وكان زيُّهم آنذاك لبس الأَقبية، وشعورهم طويلة بوفرات كَوفرةِ قَرَّة جدَّ سنان بن ثابت، فأنكر المأمون زيَّهم، وقال لهم: مَن أنتم؟ من الذمة؟ فقالوا: نحن الحرنانيِّة. فقال: أنصارى أنتم؟ قالوا: لا. قال: فيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فمجوس أنتم؟ قالوا: لا. قال لهم: أفلكم كتاب أم نبي؟ فمجمجوا في القول. فقال: فأنتم إذًا الزَّنادقةُ عَبَدَةُ الأَوثانِ وأَصحابُ الراسِ في أيّام الرَّشيد والدي، وأنتم حلالٌ دماؤُكم، لا ذمَّةَ لكم. فقالوا: نحن نؤدّي الجزية. فقال لهم: إنَّما تُوخَذُ الجزية ممَّن خالف الإسلام من أَهل الأَديان الَّذين ذكرهم اللَّه عزَّوجلَّ في كتابه، ولهم كتاب وصالحهم المسلمون على ذلک، فأنتم لستم من هؤُلاء ولا من هؤُلاء، فاختاروا الأن أَحد الأمرين، إمَّا أَن تنتحلوا دين الإسلام أَودِيناً من الأديان الَّتي ذكرها الله في كتابه وإلاّ قتلُتكم عن آخركم. فإنَّي قد أَنظرتكم إلى أَن أرجعَ من سفرتي هذه فإن أَنتم دخلتم في الإسلام، أو في دين من هذه الأديان الَّتي ذكرها الله في كتابه والا اَمَرتُ بقتلكم واستئصال شأفتكم. ورحل المأمون يريد بلد الروم فغيَّروا زيهم وحلَّقوا شعورهم وتركوا لبس الأَقبية. وتنصَّر كثير منهم ولبسوا زنانير. وأَسلم منهم طائفةٌ، وبقي منهم شرذمة بحالهم وجعلوا يحتالون ويضطربون، حتّى انتدب لهم شيخ من أَهل حرَّان فقيه، فقال لهم: قد وجدت لكم شيئاً تنجون به وتسلمون من القتل، فحملوا إليه مالاً عظيماً من بيت مال لهم .... فقال لهم: إذا رجع المأمون من سفره فقولوا له نحن الصَّابئوُن، فهذا اسم دين قد ذكره الله جلَّ اسمه في القرآن، فانتحلوه فأَنتم تنجون به. وقضى أَنَّ المأمون تُوُفّي في سفرته تلک بالبذندون، وانتحلوا هذا الإسم منذ ذالک الوقت، لأَنَّه لم يكن بحَّران ونواحيها قوم يسمَّون بالصَّابئَة...» (ابن النديم، ١٣٤٣ش، ٥٦٨).

يصرَّح أَبوريحان البيروني دون نقل هذه الحكاية أَنَّ

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

الحرنانيِّين سُمُّوا بالصَّابئَة سنة ثمان وعشرين ومأئتين للهجرة. (البيروني، (لاتا) ٣١٨) ويبدو أنَّ خطأً كتابيّاً قد حصل حين استنساخ كتاب البيروني إذ سجلَّ المستنسخون (ثمان وعشرين) بدلاً عن ثمان عشرة. على أيِّ حال لسنا هنا بصدد تعديل ما روي بل نستنتج أنَّ تسمية الحرنانيِّين بالصَّابئَة قد تحقَّق في ما بعد الإسلام.

ب. الصَّابئَة المندائيِّون [التعَّميديِّون]

إنَّ هذه الطائفة كانت في الأَصل مجموعة من مهاجرين أَجلاهم بختنَّصر (نبوخذ نصَّر) بعد احتلاله لأُورُشليم إلى بلاد ما بين النهَّرين. فاستقرُّوا جنوبيَّ البلاد بشكل مجموعات متفرَّقة. (م. ن، ٣١٨) كما تمركزت أَعداد غفيرة منهم أَوائل الإسلام في بؤرة جغرافيَّة ما بين صحاري جزيرة العرب والبطيحة (الأصبهاني، ١٣٤٦؛٣١) تقع في أقصى الجانب الشرقيَّ لنهر الفرات (المسعودي، ١٤٢١ ق، ٦٣) بين واسط والبصرة (ياقوت الحموي، ٣٥٦/٢) إنَّ المصطلحات الثَّلاثة «المغتسلة» و«المعمدان» و«العباديِّين» الواردة في النُّصوص الإسلاميَّة المتقدِّمة يمكن أَطلاقها على الصَّابئَة المندائيِّين. ويسمِّي ابن النَّديم صابئَة البطائح جنوبي بلاد ما بين النهَّرين الَّذين يؤمنون بغسل كل شيء حتَّي أَطعمتهم، "المغتسله" (انظر: ابن النَّديم، ١٣٤٣ ش، ٦٠٦) وأَمَّا البلاذري فينوَّه في تقرير عن فتح الجانب الشرقيَّ للفرات بالمعموديَّة (المعدان) بوصفها ديانة بني تغلب بن وائل. (البلاذري، ١٤٢١ ق، ١٨٢) فهؤُلاء من وجهة نظره نصارى وذلک بتسميته إيَّاهم «نصاري بني تغلب» (م. ن، ١٨١) وأَمَّا مصطلح «العباديِّين» فأَطلقه ابن النَّديم على مجموعة من أَهل الحيرة. (ابن النَّديم، ١٣٤٣ ش،٥٢٤) هو أَيضاً كالبلاذريً قد وقع بقوله هذا في خطإٍ آخر، لأَنه اعتبر العباديين من ضمن نصارى الحيرة. في حين أَنَّ مصطلح "العباديين" كانت تطلق على "الصَّابئَة المندائيين". ويعدُّ أَبوريحان البيروني عرب الحيرة النَّصارى والعباديين طائفتين مختلفتين بعضها عن بعض تمام الإختلاف. (انظر: البيروني، (لاتا)، ٣١٤) ومن المحتمل احتمالاً قريباً من اليقين أَنَّ الطَّقس المتمثل في "التَّعميد" أَو "الاغتسال في المياه" والَّذي يعَدُّ من الطُّقوس المشتركة بين "الصَّابئَة" و"النَّصارى" جرَّ مؤَرِّخين مسلمين كالبلاذري نحو الخلط بين أَبناءِ الدِّيانتين إِذ اعتقدوا أَنَّ الصَّابئَة فريق من النَّصارى.

وحالات الخلط هذه قد امتدَّت إلى العصور التَّاريخيه الحديثة. فمثلاً المستعمرون البرتغاليون عند استيلائهم على البصرة وجنوبي العراق بين العامين ١٦٢٢ – ١٦٠٠ الميلاديين اعتبروا المندائيين طائفة من المبتدعين في الدِّين والمهرطقين (انظر: السباهي، ١٩٩٦م، ١٠/ مهرداد العربستاني، (لاتا) ٣٤) بعد ذلك كان يُطلق والى القرن التاسع عشر للميلاد عليهم اسم «النصارى اليحيائية». (Kurt Rudolph, 2011, P.1). أَمَّا فقهاءُ المسلمين فلم يصدروا حُكماً موحَّدًا مشتركاً في حقِّ الطَّائفة المندائيه لأَنَّها مسأَلة اجتهادية في الفقه الاسلامي وتبدو جدَّ طبيعية. وبعد التَّمعُّن فيها وفي أَسباب اختلاف الحكم الفقهي في شأنها يمكننا استخلاص الدَّوافع التَّالية:

١-تشابه الحَّرانيين، عبدة النُّجوم، المندأئيين، التَّعميديين وَاعتبار الفئَتين فئة صابئَةً واحدةً. وهذه الحالة كانت تحثُّ الفقهاءَ على اتَّصاف الصَّابئَة قاطبةً بالشِّرک.

٢-اعتبار الصَّابئَة فريقاً من النَّصارى وذلک لقيامهم بالتَّعميد في الماء.

٣-تأَثُّر الدِّيانة الصَّابئَية بديانات أُخرى خاصَّة منها: اليهودية، والمسيحية والمجوسية هو الأَمر الَّذي جعلها تعدّ ضمن هذه أَوتلک من الدِّيانات.

٤-إِدراج القرآن الكريم الصَّابئَةَ في عداد أَهل الكتاب.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

وتداركاً للأمر فقد جمع ابن الجوزي وجهات نظر العلماءِ المسلمين عن الصَّابئَة في عبارات عشر:

١- أَنهم قوم بين النَّصارى والمجوس، ٢- قوم بين اليهود والنَّصارى، ٣- فئَة من النَّصارى إِلاَّ أَنَّ كلامهم أَلطف من النَّصارى، ٤- طائفة من المشركين لاكتاب لهم، ٥-يشبهون المجوس، ٦- فرقة من أَهل الكتاب يتلون الزَّبور، ٧- طائَفة من اهل الكتاب، ٨- فرقة تصلِّي نحو القبلة وتعبد الملائكة وتتلو الزَّبور، ٩- يقولون لا إِله إِلاَّ الله، إِلاَّ أَنَّهم لايؤَدّون الواجبات، ولاكتابَ لهم ولانبي، يبد أَنَّهم يرّددون لا إِله إِلاَّالله. (انظر: ابن الجوزي، ١٤٢٤ق .٦٨)

الصَّابئَّة في إيران

بعد فتح قوروش بابلَ (٥٣٩ ق. م.) تمهَّدت أَرضية ملائمة لمواصلة الصَّابئَة المندائيين حياتهم الدَّينية داخل حدود فارس السَّياسية. وتأَثَّرت الدَّيانة الصَّابئية بالفِرَق المجوسية (الزَّرادشتية، والمزدكية والمانوية) وبالدَّيانة اليهودية في المناطق الجنوبية من بلاد ما بين النَّهرين. (انظر: البيروني، (لاتا) ٣١٨) وأَيضاً التحاق فاتك والد ماني بالمغتسلة أَوائَل القرن الثالث الميلادي (آرتور كريستن، ١٣٧٨ش، ١٣٤) وكلَّها تدلُّ على أَنَّ ديانة الصَّابئَة المندائيِّين قد تعرَّضت منذ الأَخمينيين حتَّى السَّاسانيين لشتّى حالات القبض والبسط في عقائدها والتَّأثير والتَّأثُّر بالدِّيانات الأُخرى. بناءً على التَّقاليد الشَّفهية وروايات الكتب المقدَّسة عند المندائيين، فقد كان دخولهم أَراضي خوزستان واستقرارهم على ضفاف نهرالكرخة في العهد الأَرشاقي. (انظر: سبهاني، ١٤٢٧ق، ٤٤) منذ ذلك العهد إلى سنة ٢٠١٠ م.) وقد قطعت حياتهم الإجتماعية والدَّينية في خوزستان العديد من التَّضاريس والتَّعرُّجات. وإِبداءُ الآراءِ في شأن حياة الصَّابئَة الإجتماعية والدَّينية داخل إِيران طوال الحقب المتقدَّمة يبدو مستعصياً بسبب شحَّة المصادر والمعلومات التى يمكن الرجوع إليها. وأَمَّا ما يتعلَّق بتاريخهم المعاصر في المصادر الحديثة فيعتمد غالبه على رواياتهم الشَّفهية ونصوصهم الدَّينية الَّتي تحتاج هي أَيضاً إلى تمحُّص وتأَمَّل. إلاّ أَنَّنا مضطرَّون أَن نقرَّ ثانيةً بأَنَّ حياتهم الدَّينية والإجتماعية قد اجتازت منذ الأَرشاقيين (٢٢٤م-٢٥٠ق.م) وحتَّي عصرنا هذا (٢٠١٠، م) العديد من المحطَّات.

إِنَّ التَّعسُّفات الَّتي مارستها بعض الحكومات والمضايقات الَّتي إَبداها بعض البسطاء في حقَّ هذه الجالية الدينية في خوزستان تُعَدُّ عاملاً أَساسياً لتنقُّل أَتباعها داخل الإَقليم وخارجه. فمثلاً طوال العهد المشعشعي (١٣٤٢-٨٤٥ ق) أُشير إلى حالات من مطاردتهم الَّتي أَدَّت بهم إلى التَّنقُّل من الحويزة[٥] نحو مناطقَ أخرى مثل تُستر وضفاف نهرالكارون. (انظر: سبهاني، ١٤٢٧ ق، ١٤٢٧ق، ٤٥) ثمَّ تواصلت الممارسات التَّعسفية الحكومية ضدَّ الصَّابئَة في تستر طوال العهد القاجاري (١٣٤٤ – ١١٩٣، ق) إلى حدِّ المجازر (انظر: العربستاني، (لاتا) ٣٤) بالإِضافة إلى الممارسات الضاغطة أَواخر القرن الثالث عشر الهجري من قبل العامَّة لإِرغامهم على اعتناق الإِسلام. (انظر: شوشتري، ١٣٣١ش، ٧٥) وتبعاً لهذا نزح الصَّابئَة نحو المحمَّرة (خرمشهر) والبصرة. (العربستاني، لاتا، ٢٤) ويبدو أَنَّ هذه الممارسات والمطاردات في تستر كانت أَشدّ وأَقسى منها في مناطق أُخرى. فقد وجد مكان مُسَمى بـــ "بندِ صُبّي كُش" أَي "سدّ مذبحة الصَّابئَة" (السابق، ٣٤): زمن الصَّابئَة أَوتقرير محمَّد على إِمام شوشتري حالياً لايوجد منهم فى تستر وضواحيها حتّى شخص واحد. (شوشتري، ١٣٣١ ش، ٧٥) وكلاهما يدلاّن على حقيقة

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

هذا الرّأي.

ويبدو أنّ الصّابئَة في المحمّرة (خرمشهر) واصلوا بوصفهم أقلّية صغيرة حياتهم الإجتماعية والدّينية طوال عهد إمارة بني كعب. (انظر: مصطفى أنصاري، ١٣٨٤ش، ٢٨) وأمّا في فترة السّلالة البهلوية (١٣٩٨ – ١٣٤٤ ق) فقد عانى الصّابئَة في إيران حياة التّجاهل والتّهميش. (عربستاني، (لاتا) ٣٤). لعلّه بإمكاننا أن نقول إنّ أَلمع حقبة تاريخية للصّابئَة المندائيين في خوزستان، هي حقبة ما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران (١٣٥٧ش/١٩٧٨م)، إذ أصدر سماحة آية الله العظمي الخامنئي قائد الثورة الإسلامية حكماً بطهارتهم كونهم من أهل الكتاب وذالک أثناءَ محاضرات التّدريس الدّينية لسماحته في باب الجهاد، وضمن تنقيباته في الآيات والرّوايات وتحليلاته لوجهات نظر فقهاءِ الإسلام[٦]. (انظر: السّيد علي الحسيني الخامنئي، لاتا؛ ٤٣) كما أكّد سماحته على ذلک ضمن إجابة استفتاءات وجّهت إليه. (الخامنئي، ١٣٨٤ش، ٦٩- ٦٧) وقد أدّى هذا الموقف إلى فتح صفحة جديدة في تاريخ الصّابئَة المندائيين في إيران.

اليوم يؤدّي أبناءُ هذه الطّائفة طقوسهم الدّينية وأعمالهم الاجتماعية في المجتمع الخوزستاني على أرضية أكثر حرّيةً من أيةِ حقبةٍ زَمنيةٍ سابقة. وليست هناک أية معلومات دقيقة عن عدد الصابئينَ المندائيين في إيران، إلاّ أنّ المصادر الحديثة تدلُّ على أنّ عددهم في إيران أكثر منه في المنطقة الجنوبية من العراق. فإنّ شادگان، وماهشهر، وسربندر، وحميدية، وسوسنگرد، وبستان، وهويزة، وآبادان وخرمشهر هي مراكز استقرارهم في خوزستان. (انظر: شهرية بيت مندا، شهرآذر، ١٣٨٠،٣). وبناءً على تقرير كورت رودلف في كتابه المندائية فقد كان عدد المندائيين في إيران سنة ١٩٧٨م (٦٢٠٠) شخص. (انظر: العربستاني، لاتا، ٣٨) ويعيش حوالي (٥٣٦٨) شخصاً منهم في المدن العراقية وهي: بغداد، والبصرة، والحلّة، والدّيوانيه، والنّاصرية، والعمارة، وديالي، والكوت، والموصل وكركوک. (انظر: حسيني الشيرازي، ١٣٤٨ ش، ٣١) والأهواز اليوم هي المركز المعنوي للصّابئَة المندائيين في إيران، لأنّ (المندي)[٧] معبد للصابئة، قائم في هذه المدينة، وايضاً أعلى معبد للصابئة موجود فيها. وگنزورا[٨] هي المقام المعنوي لهذه الطائفة (انظر: مجلة شهرية بيت مندا، شهر مهر ٢،١٣٨٢) ويدعي المقام المعنوي هذا (الشّيخ جبّار طاووسي) ويلقّب بـــ (گنزورا الكبير) (مجلة شهرية بيت مندا، شهر تير ١٣٨٨، ١٠) ولهذا تُعتبر خدماته الدّينية السّابقة في حكم (ريشا اِد اِما) وأمّا الشّخص الثّاني من ذوي المقامات الرّوحية العليا لصابئَة الأهواز فهو (الشيخ نجاح چهيلي). ويحضر أبناءُ الطّائفة صباح كل أحد عند ضفاف نهر الكارون ليقوموا بأداءِ طقوس التّعميد هناک. (انظر: بيت مندا، آذر١٣٨١، ٣) يمتهن مندائيو خوزستان أعمالاً ک: الصّياغة، وتجارة الذهب، وبرادة الحديد، وسبک المعدن، وأعمالاً في الشركات الحكومية وغيرالحكومية طبقاً لتصريح ترميدا سالم چهيلي. ويتمتّع المندائيون بمجلس لحلّ الخلافات بترخيص حكومي يحمل رقم ٤٤٩ وبمكتب للزّواج بترخيص رسمي رقم ١١٢. بالإضافه إلى ذلک بغية تطوير هذه الطّائفة تُنشر مجلة فصلية "بيت مندا" بترخيص من وزارة الثّقافة، بيت العلم والمعرفة الإسلامية. وأمّا (جمعية السّيدات) فإنّها تعدُّ من ضمن التّنظيمات النّسائية الّتي تقوم مندائيات الأهواز. (انظر: مجلة بيت مندا الشهرية، تيرماه ١٣٨٨، ١٠) كما أنّ لديهم حالياً جمعية أخرى تُدعى "جمعية الصابئيةَ المندائيين" يختار أعضاؤُها التّسعة لمدّة سنتين، ومن مسؤُولياتها: تنظيم الصُّفوف

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

للتَّعاليم الدِّينية وإعداد منشورات داخلية ونشر كتب دينية بين أَبناءِ الطَّائفة وإعداد أَراضٍ للمقبرة، وغرس فسائل للشَّجر وبناءُ أَحواض مياه في مندى لمراسيم التَّعميد. (انظر: مجلة بيت مندا الشهرية، دي ١٣٨٥، ١٢) وفي الوقت الحاضر يعتبر الصَّابئة المندائيون أَقلية دينية يمارس أَبناؤُها حياتهم الدِّينية والإجتماعية في ظلِّ الجمهورية الإسلامية في إيران كما يتقبَّلهم الخوزستانيون بوصفهم فئةً دينيةً مرحَّباً بها تعيش معهم باحترام وإعزاز.

أدلةٌ تطبيق اصطلاح «أهل الكتاب» الفقهي على الصابئين المندائيِّين الخوزستانيين

١- اعتقادهم القوي والعميق على أنَّ كلمةً «الصابئين» الدالة عليهم هي بمعنى «الغطسُ في الماء او التعميد» ولا تَعني «الخروجُ من دينٍ إلى دينٍ آخر». (ترميدا سالم، حوار ٩٠/٣/١٩) وهذا المفهوم الأول في الأصل هو تلك اللغةُ القرآنيه التي جَعَلت الصابئة جُزأً مِن أهل الكتاب.

٢- «التعميد» و«الغُسل والغطسُ في الماء» أعلى وأفخَمُ المراسيم المذهبّية (مجلة بيت مندا، مهر ١٣٨٢، ٣) وابرزُ الأعمال الدينّيه للصابئين المندائيّين الخوزستانيين (ترميدا سالم، حوار ٩٠/٣/١٩) وفي هذاه المناسبة يعمدُ الصابئون الخوزستانيُون في المراسيم الخاصة بالمندي (معبد الصابئين) على وضع أواني كـــ: «القِدر، الصوان، القدح (الطاسة)، الملعقة، السّكين، المقلاة و... ويطمشونَ (يغسلون) بعضَ المآكل كـــ: « الغَنم، القمح، السمسم، الزبيب، الجوز، الرمّان، جوز الهند، التمر (مجلة بيت مندا، مهر ١٣٨٢، ص ٢) هذا العمل أي التعميد يطابقُ تقرير ابن النديم حينَ يُعرِّفُ التعميديين بأنهم فئةٌ من أهل الكتاب. (ابن نديم، ١٣٤٣ ش، ص ٦٠٦).

٣- تعلم المندائيون الخوزستانيون من كتاب «دراشة إديهيا» ككتاب مقدس مواعظ وتعاليم يحيي بن زكرّيا (ع). وكُلُّ نص من هذا الكتابِ يُستهِلُّ «باسم الحّي العظيم» وفصلٌ منه يَختصُّ بتوحيد ربّ العالمين وهو الفصل الذي تُذكَرُ فيه عباراةً «الحّي الأزلي» (دراشه إديهيا، ٢٠٠١م، ٤) وهذا الكتابٌ يَتَطرَّقُ أيضاً إلى الوعد والوعيد (الآخرة) (السابق، ١٩٨ و١٣٠).

٤- تختصُّ أربع وعشرون صفحةٌ في كتاب «كَنزا ربا» ثاني كتب المندائيين الخوزستانيين المقدس بالتوحيد وخلقة آدم والملائكة بيَدالله تعالى. وهو الكتاب الذي يعتقدون أنّهُ نَزَل على آدم (ع). وتُستَهلُّ كُلّ سُوَر هذا الكتاب أيضاً بهذه العبارة «باسم الحيَّ العظيم». ويختصُ أولُ تسبيح كتاب كَنزار «بالتوحيد» وفي هذا الفصل يُذكَرُ الله فيه بالصفات التالية: الحّي، البصير، القدير، العليم، الحكيم، الأزلي القديم و... (سبهاني، ١٤٢٧ ق، ٣٠٩، كَنزا ربا، (لا تا)، ١) وايضاً ثلث آيات كَنزا ربا حول المعاد والدار الآخرة (ترميدا سالم، حوار ٩٠/٣/١٩).

إنّ تَمَتُّع المندائيّين الخوزستانيين لهذين الكتابين المقدسين اللذين يُذكَرُ فيهما التوحيد والمعاد وعدّه كجزء مِن أصولِ اعتقادهم هو دليلٌ على توحيدهم ومطابقةِ كلمة «الصابئين» في القرآن الكريم لهم.

٥- جاءَ في نصوصهم المقدسة، فلسطين، منشأهم ومبعث يحيي (ع) وتعميد عيسي (ع) والمندائيِّين كان على يده. (دراشه اديهيا، ٢٠٠١، ٩٩-٨٥ و٨٢-٨٠) وبناء على هذه النصوص، فالصابئون يعتقدون أنَّهُم قاموا من فلسطينَ وأنَّ يحيي (ع) هو نبيُّهم (مجلّة بيت مندا الشهرية اردیبهشت، ١٣٩٠، ٨-٧) ويعتقدون

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

بهذا كأصلٍ ديني مهم اعتقاداً راسخاً. (ترميدا سالم، حوار ٩٠/٣/١٩) وبناءً على هذا الأصل نستطيعُ أن نَعُدَّ هذه الفئة التي لها صلةٌ تاريخيةٌ عميقةً مع التعميديين الفلسطينين، فرقة من أهل الكتاب والتي ذُكِرَت في القرآن الكريم.

خاتمه

دراسة المصادر التّاريخية تبين لنا أنَّ مصطلح الصّابئَة أُطلق غالباً في العصورالمتقدِّمة (القرن الثالث الهجريَّ) على عبدة النُّجوم الحرَّانيين شمالي بلاد ما بين النهَّرين أكثر منه على الصّابئَة التَّعميديين أتباع النَّبي يحيي (ع). وأمَّا ذكره في القرآن فيعدُّ قاعدة فقهية لاعتبار أصحاب هذه الدِّيانة من أهل الكتاب وينطبق تماماً على المندائيين من الصّابئَة. إذاً فَهمُ الكتَّاب المسلمين للمصطلح بمعنى (المشركين عبدة النَّجوم) لايتوافق مع المفهوم القرآني. وعدمُ التَّوافق هذا ناجم عن التَّباين بين الدَّلالتين العربية والآرامية للكلمة، لأنَّ دلالتها العربية الَّتي استند إليها الكتَّاب المسلمون، هي (الميل عن دين إلى آخر)، في حين يبدو أنَّ القرآن قد اختار الدَّلالة الآرامية أي (التَّعميد) و(الإغتسال في المياه). والسَّبب الَّذي يدلنا على هذا الإعتقاد هو أنَّ القرآن جعل الصّابئَة من أهل الكتاب، إذاً لايجوز أن يقصد بلفظة الصّابئَة الفريق الثاني منهم أي عبدة النُّجوم، علاوة على هذا فإنَّ الفريق الأوَّل أي المندائيين المقصودين في القرآن كانوا معروفين لعرب شبه الجزيرة لأنَّهم استقرُّوا في مناطق تقع جنوبي بلاد ما بين النَّهرين وليس منطقة حرَّان شمالي البلاد.

وأمَّا الجماعات الدِّينية الواردة أسماؤهم في النُّصوص الإسلامية ک (العباديين) و(المعمدان) فقد ظنَّها الكُتَّاب المسلمون عن طريق الخطأ جماعات مسيحية، بينما هي ليست إلاَّ الصّابئَة المندائيون أنفسهم. لذا إن أمعنَّا النَّظر في ما أورده ابن النَّديم دون الآخرين عن أنَّ المغتسلة شعبة من الصّابئَة تقطن المناطق الجنوبية من بلاد ما بين النهرين لتبين لنا أنَّ روايتهُ في سبيل المعرفة الاَنثروبولجية أقرب الرِّوايات إلى الواقع والمنطق وأمَّا تأثُّر الصّابئَة بالدِّيانات المختلفة الأُخرى كالزَّرادشتية والمانوية واليهودية والمسيحية، فقدكان سبباً في تخبُّط الموقف الفقهي للفقهاءِ المسلمين، إذ عدُّوهم أحياناً من المشركين وثانيةً من اليهود وثالثةً من المجوس ورابعةً من النَّصارى وخامسةً من أهل الكتاب عامَّة. وهم اليوم في خوزستان أقلِّية دينية تشكِّل إلى جانب مسلمي الإقليم جزءاً من المواطنين المنتمين للقطر الإيراني. وهم يعتبرون أنفسهم في خوزستان تلک الصّابئّة الَتي أُدرجت في القرآن ضمن أهل الكتاب ويسمُّون أنفسهم "المندائيين" أو "الصّابئّةُ المندائيين" وضَّمهم آية الله العظمي الخامنئي (مدُّظله) قائد الثَّورة الإسلامية في زُمرة من يعرفون في المجتمعات المسلمة بأهل الكتاب من أصحاب الدِّيانات السَّماوية الأُخري دون الإسلام.

إنَّ أبناءَ هذه الطَّائفة في الأهواز – وهي مركزهم المعنوي – وفي مناطق أُخرى من خوزستان يحيون حياةً دينية واجتماعية وادعة بممارستهم لطقوسهم بكل حرية ومشاركتهم في النَّشاطات الإقتصادية والإجتماعية.

الهوامش

١. كان الآراميون موجةً ثالثةً بعد الأموريين والكنعانيين من السَّاميين الَّذين هاجروا من شبه الجزيره نحو العراق وسوريا في القرن الرَّابع عشر قبل الميلاد. وقد أنهي الآشوريون حياتهم السِّياسيَّة سنة ٧٣٢ ق م، إلاَّ أنَّ لغتهم قد انتشرت في منطقة الشَّرق الأدنى دون تأثُّر باللُّغات الأُخرى. وكان تجَّارهم سبباً لانتشارها. وهي

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

تعدُّ فرعاً من اللغات السَّامية في الشمال الغربي من شبه الجزيرة. وأصبحت منذ حوالي عام ٥٠٠ ق. م. لغة لجميع الشعوب القاطنة منطقة الهلال الخصيب. وأُدخلت في عهد داريوس الأَوَّل الأَخميني (٤٨٥ – ٥٢١ ق. م) ضمن الدَّوائر الحكومية بوصفها خطاً إدارية – حكوميةٍ. (انظر: ١٤٢٨ق، ١٤٠ – ١٣٩)

٢. أَفسُس: هي إِحدي المدن المتاخمة لطرسوس (جنوبي تركيا الحالية)، ويقال أَنَّها مدينة أَصحاب الكهف .(انظر: ياقوت الحموي، (لاتا)،١/١٨٧)

٣. سورة االبقرة الآية ٦٢. / سورّ المائَدة الآية (٦٩) / سورة الحجَّ الآية (١٧).

٤. حرَّان: كانت مدينة كبيرة شهيرة في منطقة الجزيرة، شمالي العراق، وأَمَّا قصبة ديار مضر الَّتي تقع بينها وبين الرُّها فهي تبعد عنها مسافة يوم. وكانت واقعة على طريق الموصل والشام وبلاد الرُّوم. (انظر: ياقوت الحموي، (لاتا) ٣/١٣١)

٥. الحويزة: مدينة في خوزستان بناها دبيس بن عفيف الأَسدي أيام الطائِع لله العبَّاسي (٣٨١ – ٣٦٣ق). في منطقة تقع بين واسط والبصرة والأهواز (م.ن،٣/ ٢٠٠)

٦. قبل ذلك أيضاً (في سنة ١٩٧٥م) أجابَ المرجع الديني سماحة آية الله الخوئي (ره) على استفتائيةِ المحكمة الشرعية في منطقه كرخ من ضواحي بغداد وصَرَّحَ بأنّ الصابئين المندائيِّين هم جماعةً من أهل الكتابِ والتي ذكرها اللهُ تعالي في القرآن. (سند استفساريه وزارة العدل، ١٩٧٥م) وأيضاً على حَسَبَ ما ذَكَرَهُ ترميدا سالم، بأنّ سماحة المرحوم آية الله كرمي (ره) وهو من العلماء البارزين في مدينةِ الأهواز، قد أيّدَ المندائيِّين الخوزستانيين بأنّهم فرقة أهل كتاب وقد دُكِرَت في القرآن الكريم. (ترميدا سالم، مصاحبه، ١٩/٣/٩٠).

٧. "مندي" معبد الصَّابئَة: كانت تلفظ قديماً "مندا" مفردةً، (انظر: عزيز سباهي ١٩٩٦ م. ٦٥) مشتقَّةً من الكلمة الآرامية "يادا" الَّتي تعني المعرفة. (فيليب حتي، ١٣٨٠، ٤٥٥) يسمَّيه أَيضاً صابئَة خوزستان "اشختنا"، (مجلة بيت مندا، مهر ١٣٨٢؛ ٢) وهي مشتقَّةً من "مشكنا" أي البيت. (عزيز سباهي، ١٩٩٦م، ٦٥) كان مندي في الأَصل غرفة صغيرة تبني من القصب والطِّين الأَحمر والسَّقف المثلث الشكل ويوضع فيه حوض للتَّعميد تجري فيه مياه النهر من المدخل إلى المخرج، (مجلة بيت مندا، مهر ١٣٨٢، ٢) لأَنَّ الصَّابئَة يعتقدون خلافاً للنَّصاري بالتَّعميد في مياه جارية فلايجيزون المياه الرَّاكدة.

٨. المقامات الرُّوحانية للصَّابئَة المندائِيين من أَعلاهم إلى أَدناهم: ربابي، ريشاِد اِما،گِنزورا، اشكندا ترميدا.

المصادر والمراجع

الف) المصادر

[١] القرآن الكريم

[٢] دراشه اديهيا (٢٠٠١م)، ترجمه من اللغه المندائيه الاراميه إلى اللغة العربية امين فعيل حطاب، بغداد، لامكان.

[٣] كَترا ربا (لا تا)، ترجمه هيئت مترجمين كَترا ربا، أهواز، نشر جمعية صائبى أهواز.

[٤] آلبرتين، گاور (١٣٨١ش)، تاريخ خط، ترجمه عباس مخبر، طهران، نشر مركز

[٥] ابن الجوزي، عبدالرحمن بن على (١٤٢٦ق)، تلبيس ابليس، تحقيق: السيدالجميلي، بيروت، دار الكتاب العربي.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

[۶] ابن خردادبه (١٨٨٩م)، المسالک والممالک، بيروت، دار صادر.
[۷] ابن العبري (١٣٧٧ش)، مختصر تاريخ الدول، ترجمه عبدالمحمد آيتي، طهران، نشر علمي وفرهنگي.
[۸] ابن النديم (١٣٤٣ش)، الفهرست، ترجمه: رضا تجدد، نشر ابن سينا.
[۹] أبوخليل، شوقي (١٤٢٥ق)، في التاريخ الإسلامي، بيروت، دارالفكرالمعاصر.
[١٠] الاصبهاني، حمزه بن حسن (١٣٤۶ش)، سني ملوک الأرض والانبياء، ترجمه جعفر شعار، طهران، نشر مرکز فرهنگي ايران.
[١١] أمين، أحمد (لاتا)، فجرالإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي.
[١٢] الانصاري، مصطفي (١٣٨۴ش)، تاريخ خوزستان، طهران، نشر شادگان.
[١٣] البلاذري، أبوالحسن (١۴٢١ق)، فتوح البلدان، بيروت، منشورات مكتبة الهلال.
[١۴] البيروني، أبوريحان، (لا تا) الأثار الباقية عن القرون الخالية، بيروت، دار الفكر.
[١۵] شوشتري، محمد علي امام (١٣٣١ش)، جغرافيايي تاريخي خوزستان، نشر اميركبير.
[١۶] جُر، خليل (١٣٨۶ش)، المعجم العربي الحديث، ترجمه سيد حميد طبيبيان، طهران، نشر اميركبير .
[١٧] الجوزي، سعيد الخوري (١۴٠٣ ق)، أقرب الموارد، قم، نشر مكتبة آيت الله العظمي المرعشي النجفي.
[١٨]حتي، فيليپ (١٣٨٠ش)، تاريخ عرب، ترجمه: ابوالقاسم پاينده، طهران، نشر علمي فرهنگي.
[١٩] حسيني شيرازي، سيد مهدي (١٣٨۴ش)، عقيده وشريعت صابئين، ترجمه: كاظم پور كاظم، سوسنگرد، نشر سرزمين خوز.
[٢٠] الحموي، ياقوت (لا تا)، معجم البلدان، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
[٢١] الحميدي، محمد بن عبدالمنعم (١٩٨۴م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، مكتبة لبنان.
[٢٢] الخامنَئي، آيت الله العظمي سيد علي (لا تا)، تحقيق في حكم الصابئَة، (لا م ط).
[٢٣] الخامنئَي، آيت الله العظمي سيد علي (١٣٨۴ش)، رسالة أجوبة الإستفتاءات، (لا مكان)، منشورات المهدي العالمي.
[٢۴] الدينوري، أبوحنيفه (١٣۶۴ش)، الأخبار الطوال، ترجمه: محمود مهدوي دامغاني، طهران، نشر ني.
[٢۵] ژرژ، ژان (١٣٨٢ش)، تاريخ مصور الفباء، ترجمه: اكبر تبريزيان، طهران، نشر علمي فرهنگي.
[٢۶]سباهي، عزيز (١٩٩۶م)، أصول الصابئَة المندائيين ومعتقداتهم الدينية، بيروت، دارالمدي للثقافة والنشر.
[٢٧] سبهاني، رؤوف (١۴٢٧ق)، الصابئَة المندائَية في ايران، بيروت، دارالمحجة البيضاء.
[٢٨] سليم، أحمد أمين (١٣٨٢ش)، دراسات في تاريخ الشرق الأدني القديم، بيروت، دار النهضة العربية.
[٢٩] شامي، يحيي (١٩٩٣م)، الشرک الجاهلي والآلهة المعبودة قبل الاسلام، بيروت، دارالفكر العربي.
[٣٠] الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (١۴٢٢ق)، الملل والنحل، تقديم صدقي جميل العطار، بيروت، دارالفكر.
[٣١] الطبري، محمد بن جرير (١۴٢٢ق)، بيروت، دار الكتب العلميه.
[٣٢] العربستاني، مهرداد (لا.تا)، تعميديان غريب،

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

طهران، نشر افكار.

[٣٣] العلوي، محمد الحسيني (١٣٨٦ش) بيان الأديان، تحقيق محمد دبيرسياقي، طهران، نشر روزنه.

[٣٤] العهد العتيق والجديد (١٣٨٠ش)، ترجمه فاضل خان همداني، طهران، نشر اساطير.

[٣٥]كريستن سن، آرتور (١٣٧٨ش)، ايران در زمان ساسانيان (إيران في زمن الساسانيين)، ترجمه،: رشيد ياسمي، طهران، نشر صداي معاصر (الصوت المعاصر).

[٣٦] الكلبي، هشام بن محمد (١٣٨٥ ش) الاصنام، ترجمه محمد رضا جلالي نائيني، طهران، نشر سخن.

[٣٧] متز، آدام (١٣٧٧ش)، تمدن اسلامي در قرن چهارم هجري (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى)، ترجمه: عليرضا ذكاوتي، طهران، نشر اميركبير.

[٣٨] المسعودي، على بن الحسين (١٣٧٨ش)، مروج الذهب، ترجمه محمد ابراهيم آيتي، طهران، نشر علمي و فرهنگي.

[٣٩] المسعودي، على ابن الحسين (١٤٢١ق)، التنبيه والاشراف، بيروت، دار مكتبةالهلال.

[٤٠] ناس، جان (١٣٨١ش)، تاريخ جامع اديان، ترجمه: على اصغرحكمت، طهران، نشر علمي وفرهنگي.

[٤١] وجدي، محمد فريد (١٩١٧م)، دائرة المعارف القرن الرابع عشر، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.

[٤٢] هاكس، جيمز، (١٣٤٩ش) قاموس كتاب المقدس طهران، مكتبة طهوري .

[٤٣] يعقوبي، ابن واضح (١٣٧٤ ش)، تاريخ يعقوبي، طهران، نشر علمي وفرهنگي

[44] ENCYCLOPAEDIA LOOKLEX (2011), Mandeans, http: /looklex.com

ب – نشريات

[٤٥]بيت مندا، (آذر ١٣٨٠ ش)، العدد ٥، السنة الثالثة.

[٤٦]_____، (آذر ١٣٨١ ش)، العدد ١٧،السنة الثالثة.

[٤٧]_____،(مهرماه ١٣٨٢ش)، العدد ٢٧ ، السنة الثالثة.

[٤٨]_____، (دي ١٣٨٥ش)، العدد ٦٦، السنة السابعة.

[٤٩]_____، (تير ١٣٨٨ ش)، العدد ٩٦، السنة السابعة.

[٥٠]_____، (ارديبهشت ١٣٩٠ش)، العدد ١١٨، السنة الحادية عشرة.

[51] Kurt Rudolph (2001, I), MANODAEANS

[52] http://www.gnosis/library/Mandaean

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

صابئین مندائی در تاریخ، از فلسطین تا ایران

بهادر قیم[1]

تاریخ وصول: ۸۹/۹/۸ تاریخ پذیرش: ۹۰/۷/۱۶

صابئین مندائی با پیشینهٔ تاریخی عمیق، از گروه‌های شناخته شده در فرهنگ و تمدن اسلامی بودند. قرآن، صابئین مندائی را در ردیف اهل کتاب قرار داده است. حوادث تاریخی مرتبط با حیات دینی و اجتماعی صابئین در سرزمین فلسطین که در سنت شفاهی و متون مقدس صابئین مندائی ذکر آن آمده، می نماید که سرزمین فلسطین خاستگاه اولیه صابئین بود.

مهاجرت صابئین به سوی بین النهرین تابعی از عوامل بیرونی – تهاجم قوای خارجی – و عوامل درونی – درگیری با یهود – بوده است. تسامح دینی حکومت‌های هخامنشی و اشکانی، در استمرار حیات دینی صابئین دربین النهرین به عنوان جزیی از قلمرو امپراطوری هخامنشی تا ساسانی، مؤثر بوده و مهاجرت آنها را به سوی مناطق جنوب غربی ایران – خوزستان – تسهیل نمود. صابئین از ابتدای ورود به قلمرو جغرافیایی ایران در خوزستان تاکنون، حیات دینی و اجتماعی پرفراز و نشیب ، توأم با عسر و یسر سپری کردند. اما در سال های اخیر با اعلام اهل کتاب بودن این گروه دینی توسط حضرت آیت الله خامنه‌ای (مدظله)، فصل جدیدی از حضور تاریخی صابئین در ایران گشوده شد و باعث گردید تا حیات دینی و اجتماعی این گروه در فرآیندی آرام سیر نماید . این یافته نگاری با رویکردی صرفاً تاریخی و با بررسی منابع تاریخی و جرح و تعدیل آنها، سعی دارد تصویر واضحی از صابئی گری و بازشناسی مندائی‌ها از ستاره پرستان، ارائه دهد.

واژگان کلیدی: صابئین مندائی، حضرت یحیی (ع)، فلسطین، بین النهرین، خوزستان، اهل کتاب.

۱. هیئت علمی دانشگاه چمران (اهواز) Ghayem.b@scu.ac.ir

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

Mandaee Saebeen in History, from Palestine to Iran

Bahador Ghayem[1]

Received: 2010/11/9 Accepted: 2011/10/8

Abstract

The Mandaee Saebeen, with a deep historical background, was among the known groups in Islamic culture and civilization. The Qur'an has placed them among the People of the Book. The historical events related to the Saebeen's religious and social life in the Palestinian territories that are mentioned in the oral tradition and Holy Scriptures of Mandaee Saebeen shows that the Palestinian territory was their early origin. Their migration toward Mesopotamia had been under the influence of external factors – foreign invasion– as well as internal factors – the conflict with the Jews. The religious tolerance of Achaemenid and Parthian governments was effective in the continuity of religious life of Saebeen in Mesopotamia as a part of Achaemenid to Sassanid Empire and ameliorated their immigration to the south-west parts of Iran, Khuzestan. Saebeen, from their first entry to the geographical domain of Iran in Khuzestan up to now (2010 AD), have experienced religious and social ups and downs with hardships and openings. However, in recent years, with the declaration of Ayatollah Khamenei that they are among the People of the Book, there opened a new chapter of Saebeen's historical presence in Iran and provided an easy course to their religious and social life. This study, with a purely historical approach, and with a consideration of historical sources, tries to give a clear picture of Saebeen and differentiate them from star-worshippers.

Keywords: Mandaee Saebeen, Imam Yahiya, Palestine, Mesopotamia, Khuzestan, People of the Book.

1 . Assistant Professor, Shahid Chamran University, Ahvaz. Ghayem.b@scu.ac.ir